الأدب والفن في أسبوع

للاستاذ عباس خضر

استقبال تيمور بالمجمع اللغوي

كان يوم الخميس الماضي موعد الجلسة العلنية التي عقدها مؤتمر مجمع فؤاد الأول للغة العربية لاستقبال الأستاذ محمود تيمور بك بعد انتخابه وصدور المرسوم الملكي بتعيينه عضواً عاملا بالمجمع خلفاً للمستشرق الألماني المرحوم الدكتور أوجست فيشر، وكانت كلمة الاستقبال لمالي الدكتور طه حسين بك، وقد تحدث فيها عن تاريخ الأسرة التيمورية ومكانة أفرادها وآثارهم في العلم والأدب والفن، ولما خلص إلى الحديث عن الاستاذ محمود بك قال يخاطبه: ولعلك تذكر وإني أذكرك إن كنت نسيت حديثاً ألقيته في بعض مؤتمرات المستشرقين وكنت تخلص فيه للدفاع عن العامية ولم تكن تقدر أنك ستكون مجمعياً يوماً ولم تقدر أن العربية أقوى منك كما كانت أقوى من كثيرين، لا من الأفراد بل من الشعوب، ولم تكن تقدر أنك ستضطر يوماً أن تكون من حماة العربية الفصحى التي كنت تؤثر عليها العامية في بعض أوقاتك ثم نرى تغلب هذه العربية عليك يزداد شيئاً فشيئاً، وإذا هي تلتهمك التهاماً، وإذا هي تقهرك على ما تريد هي لا ما كنت تريد أنت، وإذا أنت لا تستطيع إلا أن تكرهها في شيء واحد هو خير ما تحب لها وهو خير ما تحب لنفسها تكرهها على أن تتلقى من المعاني والخواطر الرائعة ما لم تألفه من قبل، وإذا أنت من المرنين لها أحسن مرين

وقال: وأنت كاتب حلو النفس عذب الروح خفيف الظل لا تثقل على قارئك مهما تطل عشرته، وأذكر أني تلقيت بباريس كتابك «سلوى في مهب الريح» فترددت في قراءته وآثرت أن أقرأ من الأدب الفرنسي ولا سيما حينما أكون في فرنسا ولكني لا أستطيع أن أرد نفسي عن قراءة آثارك؛ فأخذت نفسي بقراءة صحف منه بين حين وحين على ألا يصرفني عما أنا فيه من قراءة، وأقسم أني ما بدأتها حتى أعرضت عن كل ما سواه ومضيت في القراءة حتى إني لم أقطعها القراءة إلا حين لم يكن من قطعها بد.

وأفاض الدكتور طه حسين بك في تحليل أدب تيمور، ووصفه بأنه أديب عالمي ليس أدبه مقصوراً على مصر وحدها ولا على الشرق العربي وحده وإنما هو أدب امتد إلى الغرب إذ ترجم كثير منه إلى اللغات الأجنبية الحية. ثم قال: أتفهم الآن لماذا سعى إليك المجمع سعياً رفيقاً كما يسعى إلى شيء ذي خطر لا يسهل الوصول إليه، بدأ فقدر آثارك الأدبية وأجازها ونوه بها، ثم استأني بك لأنه يعرف من تواضعك وهدوئك وإيثارك لما ورثت عن أسرتك من حب العزلة والانزواء، استأنى حتى تسيغ هذا التقدير وتطمئن إليه، استأني بك سنة أو سنتين، فلما عرف أنك تلقيت هذه الصدمة وصبرت لها واحتملتها ثم تغلبت عن تقديره إياك فسافرت وكتبت وأنتجت، هجم هجمة وأخذك على غرة، وأشهد ما عرفت ولا حسبت قط بأن المجمع يريد ضمك إليه، وإنما أخذك فجأة في يوم ائتمر بك صديقان هما احمدامين يا بك وطه حسين فرشحاك، ولم يكادا يعرضان الأمر على المجمع حتى أجمع على اختيارك، وإذا أنت قد التهمك المجمع بعد أن التهمتك العربية التهاما من قبل.

وبعد ذلك وقف الأستاذ محمود تيمور بك فألقى كلمته. وقد بدأها بالتعبير عن تهيبه عضوية المجمع أو في الحقيقة عن تواضعه ثم تحدث عن الدكتور فيشر، جريا على السنة المتبعة في أن يتحدث الخالف عن السالف، فقال انه كان أحد أولئك الأفذاذ الذين تتراءى لهم في مؤتنف حياتهم أحلام عزيزة وكان الحلم الذي صبغ حياة الدكتور فيشر بصبغته أنه أراد أن يكون للغة العربية معجم يؤرخ ألفاظها ويتناول ما تعاقب على هذه الألفاظ من أطوار، راجعاً بكل لفظ الى منزعه أو إلى ما يقابله في شقائق العربية من اللغات السامية، وهو مشروع جديد ليس له سوالف تيسر عليه مهمته وكأنما الأقدار قد هيأته لذلك العمل الضخم وأعانته بأدواته، فهو المتفقة في شتى اللغات السامية، وهو العليم بموازين الدراسات في اللغات على اختلافها، وهو البصير بقواعد البحث العلمي على أدق مناهجه، وهو الصابر المثابر، وهو صاحب الهوى المذري

للغة العربية على وجه خاص. صرف نفسه إلى منابع اللغة نفسها من منظوم ومنثور في العصر الجاهلي وصدر الاسلام وأكب عليها يستقرئ ألفاظها ويتبين معانيها في سياق الكلام ويستجلي تطور هذه المعاني وتنقلها بين الحقائق والمجازات، لبث الدكتور فيشر أطيب عمره في هذا العمل، ثم دعي إلى المجمع عضواً عاملا فيه، ثم طلب إليه أن ينجز معجمه في دار المجمع على أن تهيأ له وسائل الاقامة والعمل، فخف له واستمر فيه حتى كانت الحرب الشؤمى فحالت بينه وبين العودة السنوية لاستئناف عمله في وطن حلمه العزيز، وبينما كانت العقبات تذال في سبيل أن يعود عجلت به المنون الى عالم الغيب والشهادة، تاركا في هذه الدار صناديق معجمه تخفق فيها روحه، كأنها تنكر على الناعي أنه قضى.

ثم تحدث الأستاذ تيمور عن مهمة المجمع في المحافظة على سلامة اللغة العربية التي أصبحنا مؤمنين بأنها لغتنا التي يجب أن ننهض بتنميتها، ولذلك يعد المجمع من المؤسسات التي تقتضيها حياتنا الاجتماعية. ومما قاله في هذا البحث القيم: لا نثرب علينا في المفاخرة بأن لغتنا العربية غنية بألفاظها وتراكيبها، ولكن الغنى اللغوي لا يقوم باختزان الكنوز، ولكنه يقوم بمقدار التعامل، ونحن نملك من ودائع الألفاظ والتراكيب ما تضيق به خزائن المعجمات، فثالثنا في ذلك مثل امرىء يحتاز القناطير المقنطرة من صكوك لا يجرى بها تعامل، على حين أن السوق مغمورة بصكوك أخرى يتعامل بها الناس، فالسوق في غنى عن صاحب تلك القناطير، وهو لما تحمل السوق من سلع فقير. ومنه قوله: وفي غير مستطاع المجمع اللغوي أن يصنع الألفاظ صنعا أو أن يفرضها على المدلولات فرضا، وإنما الذي يستطيع أن يفرض هو البيئة المثقفة وحدها، فالكتاب والعلماء والباحثون والدارسون في كل فن ومنحى هم الذين يستوحون ضرورة الاستعمال ويستلهمون ذوق التعبير، وعلى المجمع بعد ذلك أن يستصفي ما يتلقاه من لغة المجتمع بالتأييد أو الإقرار، حتى يكون مثله في ذلك كمثل الطعام، لا يطمئن الناس إلى صلاحيته إلا أن يختمه معمل التحليل بخاتم الأمان.

كشكول الأسبوع

□ عقد مؤتمر مجمع فؤاد الأول للغة العربية الجلسة الختامية لهذه الدورة يوم الأحد الماضي، وقد ناقش فيها المقترحات التي انتهى إليها الأستاذ الزيات في محاضرته «حق المحدثين في الوضع اللغوي» وفي العدد القادم أهم ما دار فيها.

□ في حفلة تكريم الأستاذ سعيد العريان قدم الأستاذ يوسف كامل محمد معهد الفنون الجميلة العليا تمثال توت عنخ أمون هدية للأستاذ سعيد، وكان يود أن يهدي إليه تمثال الكاتب المصري ولكن الوقت ضاق دون إعداده. وهكذا اشترك فن النحت في تكريم الأديب الكبير.

□ الآن أصبح التعليم في جميع مدارس وزارة المعارف والمدارس الحرة التابعة لها بالمجان في جميع أنواعه ومراحله، ولم يبق بمصروفات إلا التعليم الجامعي والعالي، وينتظر أن تعلن مجانيته في عيد الميلاد الملكي يوم ١١ فبراير الحالي. وذلك كله عمل عظيم لم يقدر عليه غير طه حسين العظيم.

□ يوجه معالي وزير المعارف اهتمامه نحو توثيق الصلات الثقافية بين مصر وسائر البلاد العربية، ومن مشروعاته في ذلك إنشاء مراكز ثقافية مصرية في الحواضر العربية، وتتجه عنايته بخاصة إلى تونس والجزائر ومراكش لإنشاء مدارس مصرية فيها. وقد صرح معاليه بأنه لا يعتقد أن مصر ستصادف عقبات في هذا السبيل، لأن لكل من فرنسا وإسبانيا بمصر منشآت ثقافية، ومصر ستطلب من هذه الدول أن تعاملها بالمثل، فتصر على إنشاء ما تريد لنشر الثقافة في البلاد العربية بشمال إفريقيا، ولن تتوانى عن إغلاق الموجود في مصر من مدارس الدول التي تعترض على ذلك.

□ كانت العلاقات الثقافية الرسمية بين مصر والعراق، قد شابها شيء من غبار السياسة، ولكن الجو قد صفا في الأسابيع الأخيرة بفضل الاتصالات التي جرت بين رجال العراق الذين زاروا القاهرة أخيرا وبين الجهات المصرية.

□ صدر أخيرا كتاب «الأدب في ظل بني بويه» للأديب العراقي الأستاذ محمود غناوي الزهيري. والكتاب رسالة نال بها المؤلف درجة الماجستير في الآداب من جامعة فؤاد الأول. وقد خص بالبحث فيه موضوعا يتصل بوطنه الخاص: العراق تقدم به عملا أدبيا ممتازا للوطن العربي العام.

□ وافق معالي وزير المعارف على تعيين الأستاذ ابراهيم الإبياري مديراً لإدارة التراث القديم بالوزارة والأستاذ حامد عبد المجيد وكيلا لها، والأستاذان من أنشط المشتغلين باحياء الآثار الأدبية وأقدرهم على التحقيق. والإدارة تعمل الآن في إخراج كتاب «رفع الإصر عن قضاة مصر» لابن حجر العسقلاني.

تكريم العريان

في يوم الخميس الماضي احتفل جمع من الأدباء ورجال التعليم بتكريم الأستاذ محمد سعيد العريان في نادي الصحفيين . وكان من خطباء الحفل الأساتذة عطية الأبراشي وعبد الله حبيب ومحمود المزب موسى وطه عبد الباقي سرور . ومن الشعراء الأساتذة محمود غنيم وعلي الجبلاطي ومحمد مصطفى حمام وعزت حماد . وقد أناب عميد الأدباء معالي الدكتور طه حسين بك عنه الأستاذ حسين عزت مدير مكتبه فألقى كلمة بالنيابة عن معاليه عبر فيها عن مشاركته في تكريم المحتفل به وتقدير أدبه الممتاز وإنتاجه القيم

كانت كلمة الأستاذ الأبراشي جامعة شاملة ، إذ كان موضوعها « أثر الأستاذ العريان في الأدب والتعليم » وهو موضوع مترامي الأطراف اضطر فيه أن يمر بنواحيه مرورا عابرا أشبه بإلقاء تقارير المفتشين منه بالدراسة الكاشفة ، ويظهر أن الوقت كان ضيقا فلم يكف لأن يتصفح الأستاذ كل مؤلفات العريان ، ولكن كان ينبغي أن يتجنب الحديث عما لم يتمكن من الاطلاع عليه وهو كتاب « حياة الرافعي » إذ قال عنه إنه دراسة تحليلية لأدب الرافعي ، وهو ليس كذلك ، إنما هو دراسة لحياة الرافعي لا أدبه

وكان موضوع الأستاذ عبد الله حبيب « حياة الأستاذ العريان من مؤلفاته » وقد استطاع أن يصور ملامح شخصيته ونوازع نفسه بعرض أهم الأحداث في حياته وصداها في كتبه . وقد عرض لصلة العريان بالرافعي فذكر أن بعض الناس قالوا : لقد أصبح العريان رافعيا ، وأن الدكتور طه حسين قال . لم يصبح العريان رافعيا ولكنه أصبح مدره الرافعي . ثم ذهب الأستاذ عبد الله إلى أن الرافعي هو الذي أصبح عريانيا ، وفسر ذلك بأن كتابات الرافعي في عهده الأول كانت غامضة مستغلقة ، ثم كان في العهد الثاني يملي على العريان فكان هذا يتوقف عن الكتابة إذا أغلق بيان الرافعي ، فيقول له . حتى أنت يا عريان قد أصبحت عاميا . فيجيبه . إذا كنت حيال هذا الغموض قد أصبحت عاميا فكيف يصبح حال الآخرين ؟ ثم تهدأ ثورة الرافعي فيعود إلى عبارته بالتوضيح والتقويم . وقد عقب الأستاذ العريان على هذا في كلمته الشاكرة — بأنه غير صحيح . عقب بهذه العبارة الإجمالية التي تشبه البلاغات الرسمية ، وكنا نود أن يبسط القول في هذه النقطة ولكن يظهر أن ملابساته الرسمية الأخيرة غلبت عليه ..

وتناول الأستاذ عبد الله حبيب في حديثه أيضاً مسألة إقصاء الأستاذ العريان عن وزارة المعارف ، فأشاد بفضل هذا الإقصاء على الأدب إذ تفرغ للدراسة والإنتاج ، فأصدر مؤلفات قيمة وكان بصدد مؤلفات أخرى لولا « جناية » وزارة المعارف أخيراً برضائها عنه .. إلى أن قال . هل لنا أن نلتمس من صاحب المعالي وزيرنا الجليل أن يتفضل بإقصائه عن الوزارة فترة قصيرة يفرغ فيها لإخراج هذه الكتب التي تعطلت بسبب رضائه عنه وإعجابه بكفايته ...

وكانت قصيدة الأستاذ غنيم رائعة خفيفة الظل ، قال في أولها.

كرموه تكرموا عريانا ليس الفضل وحده طيلسانا
قد كسته الطروس ثوب فخار وكساها من فنه ألوانا

وكان اسم « العريان » موضع الدعابة اللفظية والتفنن في المعاني للخطباء والشعراء ، ومن ذلك قول حمام .

متواضعاً ثوب الفضيلة فوقه كاس ويزعم نفسه عريانا

بل جر هذا الاسم إلى القافية في قصيدتي غنيم وحمام .

والملاحظ — على وجه العموم — أن الكلمات التي ألقيت — عدا كلمة الأستاذ عبد الله حبيب — كانت عامة ، فلم يركز أحد منهم اهتمامه بناحية من النواحي الأدبية للمحتفل بتكريمه تركيزاً يكشف عنها ويبرزها ، فمثلا لم أسمع من أحد منهم صدى واضحاً لقراءته كتاباً من كتب العريان . ولم يحددوا بالضبط مكانة أديبنا من أدباء العصر وخصائص أدبه الأصيلة .

ومما أستطيع أن أجله في هذه المناسبة ، أن الأستاذ العريان يجمع في أسلوبه بين البيان العربي الحر والرشاقة العصرية كما يجمع في موضوعه بين الإمتاع الفني والبحث الدقيق والمنطق السليم ، وإني لأراه يزحف إلى الصف الأول على رأس نفر قليل من أدباء الصف الثاني . ولا أخشى عليه من وزارة المعارف كما أخشى الأستاذ الأستاذ عبد الله حبيب ، فان طبعه المكافح وروحه القلق لن يهدأ ولن يستطيع شيء أن يظفر به دون الأدب .

ويجرني ذلك إلى التصريح برأيي في شخصية الأستاذ سعيد ، وهو يخالف رأي أكثر الناس فيه ، إذ يقولون : إنه رجل طيب ، مخدوعين بما يبدو عليه في الظاهر من الهدوء والوداعة ، ومأخوذين بما يأتيه فعلا من العمل الصالح . والحقيقة التي أراها أنه ليس رجلا